النثر العربي القديم

المحاضرةالرابعة: **فن الرسالة في الأدب العربي القديم**

الرسالة أو الترسل هو فن من الفنون النثرية وهو وسيلة التواصل بين الناس. وهي في اللغة من الفعل رَسَلَ والاسم منه الرسالة والرسول والإرسال بمعنى التوجيه، تراسل القوم: أرسل بعضهم إلى بعض[1] .

وفي الاصطلاح هي قطعة نثرية تطول وقد تقصر تبعًا لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه،بليغة العبارة. وأسلوبها حسن رشيق وألفاظها منتقاة، ومعانيها طريفة.[2]

استعمل القدامى الرسالة في شتى أنواع الترسل واستعملوها في وسيلة الاتصال والإبلاغ والتفاهم فكانت الرسالة إشارية من أقدم أشكال الرسالة ،حيث كان يغلبها الجانب المادي مثل راية الاستسلام وإشعال النيران للضيافة وهداية الضالين في الصحراء.

وكانت لغوية التي تعتمد الرمز وسيلة لنقل معانيه و هو من أنواع الإشارة وإذ يكون ظاهر الكلام فيه عاديًا ساذجًا. بل يدل أحيانًا على هذيان المرسل إلا أن يكون مضمونه عميقًا ويحتاج إلى رجل فطن ليستخرج منه المغزى المراد به.

كانت الرسالة في هذا العصر يغلبها الطابع الشفاهي في غياب الخط والتدوين وموادهما. لأنه يعتمد بطبيعته على الألفاظ اللغوية التي تؤلف فيما بينها كلاما مفهوما يحمله رجل بعد أن يحفظه من المرسل ليبلغه إلى المرسل إليه بنصه الحرفي الذي قال المرسل أو معانيه الجوهرية التي أرادها المرسل إن أمكن. وهذا ما أدى إلى سقوط كم هائل من الرسائل في ذلك العصر حسب ما جمعه أحمد زكي صفوت في كتابه "جمهرة رسائل العرب".

وكان في هذا العصر الترسل الشعري وكثرت الرسائل الشعرية التي تمثل الوجه الحقيقي الأصيل للترسل الجاهلي ،حتى كانت الوسيلة المثلى لتحقيق هذه الغاية آنذاك هو الشعر الذي ذكر القدماء منزلته الرفيعة في الحياة الثقافية للعرب.

وفي العصر الإسلامي كانت الكتابة في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم- تشمل كتابة الوحي وتدوين الرسائل التي كان الرسول-صلى الله عليه وسلم-يكتبها للملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام[3]

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف القاهرة، تحقيق: عبد الله الكبير علي وآخرون، ط2، د ت، ص 1644.

[2]– عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1976، ص 448.

[3]– شوقي ضيف الفن ومذاهبه في النثر العربي. دار المعارف. مصر ط5، دت ،ص10.

منها رسالته إلى ملك الروم هرقل"بسم الله الرحمن الرحيم .من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم .سلام على من اتبع الهدى .أما بعد: فأنني أدعوك بدعاية الإسلام تسلم يؤتك الله آجرك مرتين" .

وكذلك كتابة العهود والمعاهدات. ونهض فن الرسائل بدور كبير مع تطور حياة المسلمين الدينية والعقلية والاجتماعية والسياسية فكان أدب الرسائل وليد الحاجة،لذا تنوعت موضوعاتها تبعًا لتلك الحاجة.

فتطورت الرسالة تطورًا ملحوظا من خلال بدايتها ومصطلحها حيث أصبحت تبتدأ بالبسملة مع النبي –صلى الله عليه وسلم- إذ كان يفتتح الكتاب بقوله "باسمك اللهمّ" ثم تحوّل فافتتح الكتاب "بسم الله" فكانت رسائله موجهة، تعالج موضوعات تشريعية وتوجيهية،لها صلة بالدين الجديد ينشر فيها الأصول والأحكام والسنن ويبين فيها حقوق المسلمين وواجباتهم ويوضح فيها أصول الفرائض وأحكامها.

وتتميز رسائل النبي -صلى الله عليه وسلم- باللغة المرسلة وميلها إلى الإيجاز والسهولة مع البعد عن الإطناب و المبالغة ،بعيدة عن التكلف، خالية من عبارات التفخيم.

و في عهد الخلفاء الراشدين ظل أدب الترسل غالبًا للمكاتبات النبوية إذ بقيت الرسائل في هذا العصر متأثرة بتلك التيارات المختلفة منذ فترة مبكرة إلى ما استجد من أحداث خطيرة بعد وفاة الرسول-صلى الله عليه وسلم-. حيث كانت الكتب في الغالب بلغة واضحة الدلالة. صادقة اللهجة خالية من التراكيب الصوري. فهي وثائق تاريخية سياسية لها أهميتها البالغة في تصوير الأحداث.حيث نجد أقصر وأبلغ رسالة في زمن الخلفاء الراشدين لعمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص:"بلغني أنك تجلس في مجلس الحكم متكئا،فاجلس متواضعا يابن العاص وإلا عزلتك.دع التأنق في لبس الثياب وكن لله لابسا ثوب الخوف والندم .ولو كان للمرء في أثوابه شرف،ما كان يخلع أجملهن في الحرم".

فكانت الرسائل الوسيلة المهمة التي لجأت إليها كل الأطراف السياسية المتخاصمة في نوازعهم ودعم حججهم وإبطال مزاعم خصومهم والكشف عن مساوئهم.

وفي العصر الأموي نجد أن الرسائل كثرت خاصة منها السياسية حيث كثرت رسائل الشيعة في هذا العصر وأول حادث تكثر رسائلهم فيه استدعاء أهل الكوفة للحسين بن علي –رضي الله عنه-وما كان بينه وبينهم من مراسلات تحض على الثورة على بني أمية لظلمهم الرعية واغتصابهم الخلافة من

أصحاب الشرعيين .وامتازت رسائلهم باختيار المعنى والألفاظ والسجع في الكلام. أما عن ابن الزبير وولاته في العراق رسائل كثيرة احتفظ بها الطبراني كما احتفظ برسالة كتب بها إليه المختار الثقفي. ونرى ولاته يكاتبون من يوجهونهم إلى الخوارج.[1]

فكثرت الرسائل السياسية بين الخلفاء ،يكتبون بالعهود إلى من يتولون الخلافة بعدهم وهي سنة وضعها أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- سار عليها بني أمية وكذلك كانوا يكتبون بالعهود إلى من يولونهم على الولايات.

ولم تكثر الرسائل السياسية بين الخلفاء وولاتهم كما كثرت في عهد عبد الملك بن مروان خاصة بينه وبين الحجاج بن يوسف الثقفي لكثرة الفتن والثورات التي نشبت في العراق وخرسان وكان الحجاج نفسه يكثر من الكتابة إلى قادته ويكثرون من الرد عليه، وكان يكتب أحيانًا إلى الثوار أنفسهم وكان يكثر من مراسلة قادته في حروب الخوارج الشبيبية وفي فتنة ابن الأشعث وحروب خرسان، ورسائله إلى الأمراء مثل رسائله إلى سليمان بن عبد الملك ،فكانت رسائله تمتاز بتزيينها بالصور الدقيقة والألفاظ الغريبة.[2]

فقد تراسلا كل من الصحابي معاوية بن سفيان وملك الروم هرقل،حيث يقول فيها ملك وقيصر الروم:"علمنا بما وقع بينكم وبين علي بن طالب ،وإنا لنرى أنكم أحق منه بالخلافة ،فلو أمرتني أرسلت لك جيشا يأتون إليك برأس علي".ورد معاوية على هرقل قائلا:"أخان وتشاجرا فما بالك تدخل فيما بينهما ،إن لم تخرس أرسلت إليك بجيش أوله عندك وآخره عندي يأتونني برأسك أقدمه لعلي".

وأيضا رسالة الخليفة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى عامله على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي يعنفه ويوبخه على تجرئه على أنس بن مالك :"بسم الله الرحمن الرحيم .من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف الثقفي،أما بعد فانك عبد طَمَتْ به الأمور فسموت فيها وعدوت طَورك وجاوزت قدرك وركبت داهية آدا وأردت أن تَبُورَني فإن سَوَّغَتُكَهَا مضيت قدما وإن لم أسوَّغْكُهَا رجعت القهقرى،فلعنك الله عبدا أخفش العينين،منقوص الجاعرتين ،أنسيت مكاسب آبائك بالطائف،وحفرهم الآبار،ونقلهم الصخور على ظهورهم في المناهل.والله لأغمزنك غمز الليث الثعلب والصقر الأرنب..... ".ابن كثير البداية والنهاية 9/154

[1]– شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص 459.

[2]– نفسه، ص 460.

ونجد في هذا العصر رسائل عمر بن عبد العزيز التي كانت كتاباته وعظية، وأنه لم ولي الخلافة أرسل إلى الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل ويرد عليه برسالة.[1]

وشاع في هذا العصر الكتب الوعظية والسياسية والكتابات الشخصية بحكم تباعد العرب في مواطنهم،وتأثير بعض الظروف من موت يقتضي التعزية أو ولاية تقتضي التهنئة أو شفاعة عند ولي لقريب أو صديق أو كتاب أو اعتذار.

ومن أشتهر بهذا اللون عبد الله بن مروان بن جعفر الذي قتل بخرسان، فقد كان بليغ اللسان. يعرف كيف يحول الكلم ويصوغه صياغة باهرة على نحو ما نجده في رسالته إلى إخوانه معانتًا فهو يخير ألفاظه وينتقي المعاني الطريفة ويزينها بالاستعارات والطباقات.

وبالانتقال إلى العصر الأندلسي وجدنا أن الرسائل هي من أهم فنون النثر في هذا العصر وذلك كون كتاب الرسائل من فرسان الشعر الأندلسي استخدموا مواهبهم الشعرية وذوقهم الأدبي للارتقاء بأساليب تعبيرهم والتفنن به. وتنوعت الرسائل في شتى المجالات منها: الرسائل السلطانية التي كانت تصدر عن ديوان الخليفة من جهة للعمال والقادة والأعداء ورسائل الأمان والمبايعة والبشائر.[2]
نذكر منها رسالة الأمير عبد الرحمن الداخل ملك قرطبة إلى أهل قشتالة الأندلسيين والنصارى حول وضع الأمان وعقد المهادنة ودفع الإتاوة من ظلم نصارى الشمال فيقول فيها:"بسم الله الرحمن الرحيم،كتاب أمان من الملك العظيم عبد الرحمن،للبطارقة والرهبان والأعيان ،والنصارى والأندلسيين أهل قشتالة ومن تبعهم من سائر البلدان ،كتاب أمان وسلام ،وشهد على نفسه أن عهده لا ينسخ ما أقاموا على تأدية عشرة ألاف أوقية من الذهب ،وعشرة ألاف رطل من الفضة ،وعشرة ألاف رأس من خيار الخيل ،ومثلهما من البغال،مع ألف درع ،وألف بيضة ،ومثلها من الرماح،في كل عام إلى خمس سنين". كتب بمدينة قرطبة ثلاث صفر عام اثنين وأربعون ومائة.[3]

وقد ازدهر فن الرسائل السياسية في العصر الأيوبي ازدهارًا ملحوظًا وكان من أشهر كتابها القاضي الفاضل،ومن الرسائل ،رسالة أرسلها إلى صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة العباسي في بغداد،ورسالة أخرى للقاضي الفاضل يصف الحروب والجيوش وأحداث المعركة وبشارة بفتح القدس كتبها القاضي الفاضل يُبشر بذلك.

---

[1]– نفسه، ص 462.

[2]– القلشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء وزارة الثقافة المؤسسة العامة المصرية، د ت ، د ط، 490 إلى 502.

[3]احمد العزاوي،رسائل ديوانية أندلسية من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع،مطابع الرباط،المغرب ،ط1,2013،ص25

أنواعها:

أ- **الرسالة الديوانية:** تعني بها كل المراسلات والمخاطبات والوثائق وغيرها من ضروب الإنشاء ذات الطابع الرسمي،والتي تدخل في باب من أبواب ترتيب الحُكم وتنظيم المملكة وضبط الشؤون الإدارية ومراسلة الأطراف التي يكون التعامل معها على وجه من الوجوه داخل البلاد وخارجها جزءًا من النشاط السياسي.[1]

موضوعاتها: حول التولية ورسائل العهود والمواثيق وشؤون الرعية والجيش والحكم والسلطة.

ومن خصائصها:

- الدقة والسهولة في التعبير و التقيد بالمصطلحات الحكومية والفنية والمساواة في العبارات والبراءة من التهويل والتخيل.
- التزام في مصدر رسالته بالتحميدات الخاصة في موضوعات معينة كالتولية أو رسائل الجهاد.
- تضمين الرسائل الديوانية آيات قرآنية لتدعيم آراء وحجج الكُتاب .
- تضمين أبيات شعرية في بعض الرسائل.

ب- الرسائل الاخوانية: هي تلك الرسائل التي تدور بين الإخوان والأصدقاء والخلصاء .ولهذا النوع من الرسائل ميدان فسيح للإبداع يتبارى فيه الأدباء والكتاب وتتيح لأقلامهم وقرائحهم أن تنطلق على سجيتها وأن يعبر أصحابها عن عواطفهم الشخصية في لغة مصقولة منتقاة وأساليب قوية.

موضوعاتها: للرسائل الإخوانية أنواع شتى تتنوع بحسب الموضوعات التي تعالجها،وهي أكثر شمولاً من الرسائل الديوانية من حيث تنوع الموضوعات.تعالج هموم العصر، تدور حول الإخاء، الصداقة...

فالرسائل الإخوانية هي التي يكتبها الناس لبعضهم البعض،وهي جمع إخوانية نسبة إلى الإخوان والمراد المكانية الدائرة بين الأصدقاء.[2]

منها :التهاني والتعازي والتهادي، الشفاعات، الشوق، الزيارة، خطبة النساء، الاستعطاف، الاعتذار، الشكوى، الشكر، العتاب، السؤال عن حال المريض، الأخبار والمداعبة.

---

[1]– علي بن محمد، النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس، مضامينه، وأشكاله، ج1، دار الغرب، د ب، ط1، 1990، ص 208.

[2]– القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج8، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1922، ص 126.

خصائصها:

-التحية والسلام وتضمنها القرآن الكريم والقرآن الكريم

- ارتقاء أسلوب التعبير وجزالته.

- عذوبة اللفظ ومتانته.

- كثرة السجع.

- استخدام الترادف.

- اليسر والوضوح في اللفظ.

- ثراء المضمون وعمق دلالته.

- التعبير عن الأحاسيس والمشاعر.

- التصوير الفني والإيقاع الموسيقى.

من أشهر كتابها: عبد الحميد الكاتب، ابن العميد، الصاحب بن عباد، أبو حيان التوحيدي، ابن زيدون، ابن شُهيد الأندلسي...إلخ.

المحاضرة الخامسة: **السرد العربي القديم-**

المقامات-

إن السرد في اللغة هو التتابع والتسلسل[1]. أما في الاصطلاح هو إخبار من صميم الواقع أو نسج الخيال أو من كليهما معا في إطار زماني ومكاني .فهو عبارة عن مجموعه من الأحداث المتسلسلة والمتتابعة ،تقوم بأدائها مجموعة من الشخصيات وفق عقدة وحل في الأخير.

نشأته:

لقد كان السرد عند العرب منذ القديم متوارث شفاهيا على شكل نقل للأخبار وكان على شكل أساطير فسروا بها مظاهر الحياة التي عاشوا فيها ونقلوا لنا تجاربهم وحكمتهم في شكل حكايات ومأثورات شعبية عبر الأجيال.

فكان السرد العربي القديم مجرد قصص وحكايات دارت علي سير الأبطال من ملوك وشعراء وأساطير الأولين والعشاق والكهان ،حيث عرفوا منذ العصر الجاهلي هذا اللون النثري ،فقد كان لهم قصص وأخبار تدور حول الوقائع الحربية ،وتروى أساطير الأولين وحكايات العشاق وحكاية الشعراء مثل حكاية عنترة وعبلة، والمرقش الأكبر مع محبوبته أسماء . إلى أن جاء الإسلام الذي جيئ بقصص الأنبياء وسير الرسل ،وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام وسير الصحابة-رضي الله عنهم-

وفي العصر الأموي نمت القصة خاصة ،وتضخمت حتى أصبحت عملا رسميا يعهد إلي رجال رسميين يتقاضون عليه الأجر،حيث تدور قصصهم حول ملوك الدولة الأمية وأحداث الحروب .

أما في العصر العباس فقدي تطور السرد وتنوع حيث أصبح غنيا بمضامينه وأساليبه فظهرت الترجمة والنقل،مثل ما ترجمه ابن المقفع في كتاب كليلة ودمنه من الفارسية الهندية إلي العربية للفيلسوف الهندي بيدبا ،ونجد كتاب ألف ليلة وليلة الذي ترجم إلي العربية وأيضا كتاب الجاحظ للبخلاء .كما ظهرت المقامات مع بديع الزمان الهمذاني.

[1] -ابن منظور، لسان العرب، مجلد 6تحعامر احمد حيدر، راجعه عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية،بيروت،ط1,2003،ص233

وهذا بالإضافة إلي القصص الشعبية وملاحم البطولي التي اتخذت لها شكل الرواية ،وأشهرها في العصر العباسي سيرة عنترة وسيرة بني هلال وغيرها.

وكما أن القصة وجدت في الأدب الأندلسي مثل قصة حي بن يقضان لابن طفيل ورسالة التوابع والزوابع لابن شُهيد الأندلسي وهي قصة خيالية.

أنواع النص السردي:

أ-الحكاية: تحكي واقعة من وقائع الحقيقة أو الخيالية الأسطورية أو الخرافية ، دون الالتزام بقواعد الفن القصصي.ويمكن أن تمثل لها بالنوادر والحكايات التي ترويها كتب الأدب .والحكاية لها بداية ووسط ونهاية ،وهي تصور التجارب الرومانسية الإنسانية و البطولية .كذلك رصد حالة مجتمع خلال فترة زمنية محددة كأغلب الروايات، فهي سرد لأحداث قامت بها شخصيات في زمان ومكان معين بدون عقدة .فالحكاية نثرية أو شعرية ذات مغزى أخلاقي في الأغلب وليس على الإطلاق من الحيوانات، أما موضوعها فيرتبط بما فوق الطبيعي أو الغريب من الوقائع ،وغالبا ما تعود أصولها إلي مصادر التراث الشعبي مثل نوادر أشعب.

ب-الرواية: نص سردي طويل تجتمع فيه أكثر من قصة واحدة .ترتبط وتشارك فيما بينه.

ج-القصة: هي سرد لأحداث قامت بها شخصيات في زمان ومكان معينين لها بداية وعقدة ونهاية.

د-**الأقصوصة:** هي القصة القصيرة في نصف صفحة .

هـ-الأسطورة: سرد أحداث من المحض لا صلة لها بالواقع .قامت بها شخصيات هي الأخرى من نسج الخيال تكون في أمكنة خيالية وغريبة،وفي زمان خيالي أيضا.

و-الحكاية العجيبة: وهي نسج لأحداث خيالية قامت بها شخصيات خيالية في زمان ومكان من نسج خيال الكاتب لأنها تعكس الواقع بطريقة رمزية.

ر-**السيرة:** هي سرد لأهم الأحداث التي عرفها مسار الشخصية وتعرف بنقطة التحول.

ع-اليوميات: سرد لأحداث نمر بها في حياتنا اليومية مع تسجيل اليوم والساعة والتاريخ.

عناصر تشكيل النص السردي:

ا-الشخصيات: وتكون رئيسية وثانوية ،فهناك أبطال يستمد ذكرهم طول القصة ويكون لها نصيب الأسد في الحكاية.أما ثانوية تذكر بشكل أقل من ذكر العناصر الرئيسية ،وقد تذكر مرة ولا تذكر ثانية.

ب-الأحداث: هناك حدث رئيسي وأحداث ثانوية ،وهي الأفكار الرئيسية والمغزى الأساسي من الحكاية الذي يوصل بها الكاتب فكرته من خلاله للقارئ والمستمع بالتأكيد.

ج-العقدة: وهنا تصل الحكاية الي قمة ذروتها لتشد القارئ لإكمال الحكاية ،وهي تأزم الأوضاع.

د-الصراع:لكل نص سردي صراع قائم بين صنفين .وهذا الصراع يكون ماديا بين الشخصيات فيما بينها ،وهناك صراع معنوي مثل الخير والشر وصراع العبودية مع الحرية وصراع العلم مع الجهل.

هـ-الحل: وهنا يتوصل الكاتب ليوضح الهدف من العقدة ،وتوضيح مغزاه، ويكون هذا الحل أو النهاية أما مأساة أو ملهاة أو دراما(مأساة وملهاة).

و-الزمان: وهي الأحداث التي تدور في زمن الماضي والحاضر والمستقبل.ونستشفها من خلال الأفعال.

ر-المكان: وهو مسرح الأحداث التي لعبت فيه الأدوار بالنسبة للشخصيات وهي أماكن منفتحة وأماكن منغلقة ،أما المنفتحة في التي ليس لها حدود مثل: بحر وصحراء وغابة وجبل...الخ. آما المنغلقة فهي التي تتمتع بحدود مثل بيت ومقهي و سجن. الخ.

ث- الحوار: ويكون الحوار داخلي ،أي بين النفس ونفسها (الهمس)أو(المونولوج)،وحوار خارجي يكون بين الشخصيات فيما بينها.

ع-اللغة :فاللغة هي التي تربط وتجمع عناصر القصة وتكون عاده بالفصحى تتخللها كلمات أجنبية وأخري عامية.

ز-الوصف:ويكون في وصف الشخصيات داخليا وخارجيا ،فالوصف الداخلي يكون معنوي من خلال أفعال الشخصيات نكتشفها مثل: الأنانية والغيرة والحقد والوفاء.....الخ. أما خارجي يكون مادي يتمثل

في وصف القامة من طول وقصر ولون البشرة والعينين والشعر.....الخ .وأيضا هناك الملابس من ألوان واناقة ورثة .....الخ

ويوجد أيضا في الوصف وصف الطبيعة والأماكن

خصائص ومميزات السرد العربي القديم:

- ✓ الغاية والهدف منه سرد الأحداث ونقلها
- ✓ يمتاز بالجمل الإخبارية والإحداث
- ✓ كثرة أفعال الحركة والأفعال الماضية لسرد الأحداث والمضارعة لوضع الخيال في خضم الأحداث
- ✓ ينمي الخيال لذا القارئ.
- ✓ كثرة أدوات الربط.
- ✓ غرس خبرة اجتماعية للقارئ ومعرفية.

فن المقامات:

المقامة في اللغة تعني المجلس. ومقامات الناس مجالسهم،ويرى ابن منظور "أن المقامة استعملت بمعناها المجازي لتدل على القوم الذين يجلسون في المجلس،ويضيف أن المقامة بضم الميم (الإقامة).يقال أقام الرجل إقامة ومقامة (كالمقام والمقام)بفتح الميم وضمها[1]

وبديع الزمان الهمذاني نفسه يستعمل المقامة بمعنى مجلس ،قال في المقامة الوعظية[2] (قال عيسى بن هشام:فقلت لبعض الحاضرين،من هذا؟قال: غريب قد طرأ لا أعرف شخصه،فأصبر عليه إلى آخر مقامته ،لعله ينبئ **بعلامته.....)**

المقامة البديعية:

تعنى المقامة الفنية الجنس الأدبي الذي ظهر في القرن الرابع الهجري وبالتحديد في العصر العباسي ،الذي ازدهرت فيه مختلف الفنون النثرية ،ويعود فضل إنشائها إلى بديع الزمان الهمداني[3](358هـ/395هـ)،(969م/1007م) ولذلك نسبت إليه.

---

[1] ص242 لسان العرب

[2] أبو الفضل أحمد بن الحسين .مقامات بديع الزمان الهمداني،قدم وشرح محمد عبده،دار الكتب،بيروت،ط2003.2،ص151

[3] يوسف نور عوض،فن المقامات بين الشرق والمغرب،دار القلم ،بيروت،لبنان،ط1,1979،ص08

والمقامة قصة أو حكاية قصيرة بطلها شخصية خيالية تتصف بالكدية والاحتيال ،تقوم على حدث طريف أو ملحة ،وتتميز بأسلوب أنيق،وليس الغاية من إنشائها تذوق جمال القصص ولا إفادة الوعظ ولا تحصيل العلم ،وإنما هي قطعة أدبية فنية قد يقصد بها (الفن للفن) وتجمع موارد اللغة ونوادر التركيب في أسلوب مسجوع وموشي بحلل البديع،يعجب أكثر مما يؤثر ،ويلذ أكثر مما يفيد ولم تراع قواعد الفن القصصي فيما كتب من هذا النوع وإنما صرفوا جهودهم إلى تحسين الألفاظ وتزيينها [1]

يرى كثير من الدارسين أن موضوعات المقامة تدور أغلبها حول الكدية و الاحتيال والحقيقة أن الكدية صفة لصيقة بالبطل وحده وأن لكل مقامة موضوعا واجتماعيا ،دينيا ،فلسفيا.... [2]

أسند بديع الزمان الهمذاني البطولة في مقاماته إلى أبي الفتح الاسكندري ،وأسند رواية أحداثها إلى عيسى بن هشام ،وتجمع البطل والرواية صلة وثيقة ومعرفة قديمة ،فهو يراه في كل حادثة ويسمعه في كل مجلس ،ثم يروي ملحة وطرائفه واحتياله للناس[3].

نشأة المقامة:

يرى أحمد ضيف أن المقامة أصلها فارسي ،وأنها انتقلت من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية ،وهذا القول مردود عليه ،باعتراف مؤلف فارسي هو محمد تقي بهار في كتابه"سبك شناسي يا تاريخ تطور نثر فارسي"[4]الذي يرجع أن لفظ مقامة من ابتكار بديع الزمان الهمذاني،وذلك أن لكل اختراع في الأدب العربي يرجع إلا وله صدى في الأدب الفارسي.

ويرى أن ظهور المقامات في النثر الفارسي يعود إلى القرن السادس الهجري ومثل بمقامات القاضي حميد الدين عمر بن محمد المحمودي البلخي(559) كنموذج لذلك.

وأضاف القاضي حميد الدين أراد تقليد مقامات كل من بديع الزمان و الحريري ولكنه تأثر ببديع الزمان وقلده أكثر ،كما يبدو ذلك من المقامة الثانية والعشرين المسماة"المقامة الشكباجية"التي هي نفس ترجمة وتقليد المقامة المضرية لبديع الزمان الهمذاني"[5]

إن المنشئ الحقيقي للفن المقامي ،يذهب المستشرق الإنجليزي"مارغوليوث"في دائرة المعارف الإسلامية إلى أن بديع الزمان الهمذاني زعم أنه ابتكر فن المقامات ،والحقيقة أن أبا بكر ابن دريد هو

---

[1]أحمد حسن الزيات،تاريخ الأدب العربي،ص292

[2]يبين المشرق والمغرب،ص08وسف نور عوض فن المقامات

[3]ليندة قياس لسانيات النص.النظرية والتطبيق.مقامات بديع الزمان الهمذاني أنموذجا.تقديم عبد الوهاب شعلان،مكتبة الأداب القاهرة .دب2009ص90

[4]مصطفى الشكعة،بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية ص300

[5]المرجع نفسه ص301

الذي أنشأ هذا الفن[1]،ويميل إلى هذا الرأي زكي مبارك الذي ذهب إلى أن عمل المقامات ليس من ابتكار الهمذاني ولكنه عارض بها أربعين حديثا أنشأها ابن دريد، ويقر"جورجي زيدان "أن أحمد بن فارس له فضل السبق في وضع المقامات لأنه كتب رسائل نسج على منوالها العلماء ،واشتغل عليها بديع الزمان الهمذاني[2]

ويجزم "مارون عبود "بكل وضوح أن فن المقامة من إبداع الهمذاني، فلا لابن فارس، ولا لابن دريد يد في إنشائها ويرى أن مبدعها الحقيقي هو بديع الزمان الهمذاني ،وأن الكتاب الذين جاؤوا بعده قد وقفوا عندما اجترعه البديع ،ولم يزيدوا عليه فله فضل الريادة والأسبقية في هذا المجال ،ولم يتفوق غليه إلا الحريري لما تتميز به لغته من شرف اللفظ وجودة المعنى[3]

يتضح من كلام مارون عبود أن البديع أنشأ هذا الفن من عدم، وأنه لم يتأثر بأي نموذج فني سبقه ،وهذا الرأي لاشك أن فيه إعادة نظر ،أما عبد المالك مرتاض "فيذكر أن البديع هو مؤسس فن المقامة وهو نفس ما ذهب إليه مارون عبود إلا أن مرتاض لا ينكر تأثر بديع الزمان بسواه ،فمن التعسف أن يجزم أي باحث بأن البديع أوجد مقاماته من عدم [4]

فإذا لم يكن البديع قد أنشأ مقاماته من عدم ،فلاشك أن هناك نماذج إنسانية قد تأثر بها وساعدته على الهام نموذجه المقامي ،وهذا ما أكده يوسف نور عوض ،إذ أشار إلى أن هناك جملة من المؤثرات الفنية ،والأدبية أحدثت أثرها في صناعة المقامة، تمثلت أساسا في كتاب البخلاء ورسالة التربيع والتدوير للجاحظ وحكاية أبي القاسم البغدادي ورسائل إخوان الصفا، بالإضافة إلى حكايات شعبية مثل حكاية عنترة بن شداد وشخصية حاتم الطائي ،والقصص المترجمة ككتاب كليلة و ودمنة وقصة ألف ليلة وليلة.....

الخصائص العامة لفن المقامة:

-لكل مجموع مقامات مجلس واحد لا تنقل منه إلا ناذرا أي(وحدة مكان ضيقة)[5]ولها بطلان هما الراوية و المكدي.

أما الراوية: فهو الشخص الذي ينقل الأحداث المقامة من المجلس الذي تحدث فيه.

---

[1]دائرة المعارف الإسلامية .مادة الهمذاني.مج3ص471

[2]تاريخ الآداب العربية ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر ،1993،ج2،ص619

[3]أداب العربص318

[4]المقامات في الأدب العربي،الدار التونسية للنشر ،تونس،ط 2 ،1988،ص139

[5]عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي ،ص58

وأما المكدي:فهو في الغالب شخص خيالي وظيفته النصب و الإحتيال على الناس حتى يحصل على ما يرغب عليه،وشخصية البطل هذه في الحقيقة هي انعكاس لشخصية المؤلف الذي يتميز بذكائها الحاد ،وفطنتها لشديدة واطلاعها لواسع على العلوم الكثيرة،وقدرتها الكبيرة على نظم الشعر وحل الألغاز،وتأليف الخطب وقول الأحاجي.

-كما لكل مقامة اسم خاص بها،وأسماء المقامات في الغالب مأخوذة من أسماء المدن أو المحلات أو اللون أو بعض الأكلات الشعبية كالمقامة المضيرية مثلا.

-للمقامات موضوعات متعددة ومتنوعة منها الأدبي والفقهي ،والفكاهي ،والخمري،والمجوني[1] وهذه المواضيع في الغالب تخدم غرضا واحدا يتمثل في تقديم صورة شاملة لواقع البيئة ،وتصوير أحوال الناس في ذلك العصر ،ويزخر أسلوب المقامة بمختلف الألوان البيانية ،من تشبيهات واستعارات وكنايات .وأما المحسنات البديعية فهي مطردة ولا تخلو منها مقامة وبخاصة السجع فقد أكثر منها لحد الإفراط.

وقد حرص مؤلفو المقامات على انتقاء الألفاظ،وتوليد الصور والإكثار من اقتباس الشعر ،أما ظاهرة التضمين فواضحة لديهم ،وأكثر ما تتجلى في المعنى القرآني ،والحديث الشريف والأمثال السائرة.

وتعد المقامات تحفة رائعة من تحف الأدب العربي ،وفتحا لمحاولة كتابة القصة العربية ،ورغم ما كتب عن هذا اللون النثري قديما وحديثا إلا أنه لايزال مجالا خصبا للمزيد من الدراسات.إنه في الحقيقة يمثل كنزا يقتضي الكشف عنه مجهودات مختلفة [2]ومتواصلة.

[1]حنا الفاخوري ،الموجز في الأدب العربي وتاريخه،ص187

[2]ليندة قياس، لسانيات النص،النظرية والتطبيق،مقامات بديع الزمان الهمذاني أنموذجا،ص93